رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(١٨)

القضية الفلسطينية
في الشعر الإسلامي المعاصر
١٣٨٧-١٤١٠هـ/١٩٦٧-١٩٩٠م

تأليف
حليمة بنت سويد الحمد

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، حليمة بنت سويد

القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر.- الرياض، ١٤٢٣هـ

٣٤٤ ص، ١٦,٥×٢٤سم

ردمك: ٢-٢٤٥-٤٠-٩٩٦٠

١- الشعر الإسلامي. ٢- القضية الفلسطينية - شعر.أ. العنوان

ديوي ٨١١,٩٠٦٢ ١٤٢٣/٥٤٥٢

ردمك: ٢-٢٤٥-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٤٥٢

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كانت مأساة فلسطين معيناً لا ينضب وينبوعاً لا ينفد، يمد الأدباء والشعراء -ليس في فلسطين فقط بل في جميع الأقطار العربية- بأروع ما أبدعوا وأعذب ما غنوا.

فمأساة فلسطين جرح متجدد الألم في كيان الأمة الإسلامية، لكونها جزءاً من ديار الإسلام، ولأنها الأرض المقدسة المباركة، مهبط الرسالات، وملتقى النبوات على امتداد التاريخ.

وقد شغلت القضية الفلسطينية الشعراء واستقطبت اهتمامهم. وبخاصة بعد نكبة (١٩٤٨م) وما نجم عنها من تشريد وهجرة ومذابح دامية للشعب الفلسطيني المسلم، فانبرى الشعراء يصورون تلك الفاجعة وإحساسهم إزاءها.

وفي عام (١٩٦٧م) جاءت النكبة الثانية، فاستولى العدو الصهيوني على جملة أراضي فلسطين وعلى أجزاء أخرى من الأراضي العربية، فهزت هذه الكارثة مشاعر المسلمين هزة عنيفة؛ أيقظتهم من غفلتهم، وعمقت في نفوسهم الإحساس بخطورة المؤامرة التي تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، وتصاعد هذا الإحساس ونما مع الصحوة الإسلامية. فبرز صوت الشاعر المسلم الملتزم الواعي،

ليبارز الأصوات الأخرى ذات الاتجاهات البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح لحقيقة المعركة.

وقد أدى الشعر الإسلامي في هذه الفترة التي أعقبت نكبة (١٩٦٧م) دوره الفعال في إذكاء الهمم وإلهاب المشاعر، فالدواوين الشعرية التي بين أيدينا تتضمن قصائد كثيرة تصور عمق المأساة وأدوارها المتكاملة.

فمنذ تاريخ النكبة حتى يومنا الحاضر ظلت القضية الفلسطينية القضية الكبرى التي تشغل العالم الإسلامي، وتشغل المكان البارز في الصراع الدولي؛ نظراً لخطورتها؛ ولعدم استطاعة العالم أن يجد الحل المناسب لها. ولذلك كتب على الشعب الفلسطيني -خاصة- والشعوب الإسلامية -عامة- أن تحمل السلاح جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن كرامة مضاعة وحرية مسلوبة وحقٍ منتزع.

وفي عام (١٩٨٧م) كانت الانتفاضة، باكورة ثمار ذلك الشعر الإسلامي الذي بشر بها، ورسم لها المنهج الصحيح ووجه مسارها. كما أن هذه الانتفاضة غذت الأدب بمضامين جديدة تحيي عزة المسلم، وتبعث في نفسه الأمل بالنصر القريب. فلم يكن شعر الانتفاضة شعر شكوى أو تباكٍ، بل إنه شعر أمل مشرق متفائل بدنو فجر التحرير والعودة. وقد كانت الانتفاضة رمزاً لثورة الشعب الفلسطيني وصموده. كما كانت الحلقة الأكثر صلابة في سلسلة متصلة الحلقات من جهاد الشعب الفلسطيني؛ لأنها انطلقت -منذ البداية- على خط إسلامي واضح المعالم، وتميزت بعمومها أرض فلسطين، وشمولها قطاعات الشعب كافة.

ويقوم هذا البحث على دراسة: ((القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، منذ عام النكبة الثانية (١٣٨٧هـ) (١٩٦٧م) إلى عام (١٤١٠هـ)

(١٩٩٠م) وهي مدة من الزمن تتابعت فيها الأحداث وبرز خلالها كثير من المستجدات في القضية؛ مما جعل الشعر يتجه إلى الفاعلية والإيجابية دون التوقف عند مجرد الانفعال والتأثر)).

ولذا كانت هذه المدة من تاريخ القضية مجالاً خصباً للدراسة الأدبية؛ لوفرة الإنتاج الشعري. فقد وقفت على كثير من شعر الجهاد في هذه المرحلة؛ وكان علي أن أختار بعض ما لدي، لأن الإحاطة بكل ما عثرت عليه مستحيلة. فرأيت أن أعمد إلى أجود ما أراه ممثلاً للفترة محل الدراسة؛ لأن مأساة فلسطين قد تركت ما يملأ عدة مجلدات.

وقد اخترت لهذه الدراسة المنهج التحليلي التطبيقي، الذي عماده النص الشعري، وقراءته القراءة الفاحصة، التي يمكن من خلالها استكناه خصائص الأدب الإسلامي الفكرية والفنية، ومن ثم يكون التقويم النقدي على أسس قويمة ثابتة.

وقد استخدمت مصطلح ((الشعر الإسلامي)) وأعني به الشعر الصادر عن شعراء عرب مسلمين عقيدة وفكراً، وإن كان هذا المصطلح يتضمن الشعر الإسلامي بلغات أخرى، ولكن ما قصدته هو الشعر العربي فقط؛ فهو مجال التخصص، ولندرة المترجمات الشعرية من آداب الشعوب الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أنني اكتفيت في هذه الدراسة بتناول النصوص الشعرية العمودية، دون الشعر الحر، وليس ذلك رفضاً لهذا القالب الفني الجديد، ولا جموداً في مواجهة الحياة المتغيرة، وإنما إيثاراً للأصالة، وتوحيداً لأطر الدراسة، ورغبة في الإيجاز؛ ولأن هذا الشعر الحر لا يزال في حاجة إلى استخلاص قانون عروضي يضبطه ويحدده.

كما تجدر الإشارة إلى وجود بعض الدراسات التي تناولت القضية في الشعر الإسلامي المعاصر وهي:

١- الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين، للأستاذ محمد منير الجنباز، وقد استقصى الباحث -من وجهة إعلامية- شعر القضية على مدى ستين عاماً.

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، للأستاذ مأمون جرار، وهو بحث موجز اقتصر على أربعة شعراء إسلاميين فلسطينيين، وشعرهم في القضية.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز إسلامية القضية من خلال تناول الشعر الإسلامي لها، والوقوف على ما يملكه الأدب الإسلامي من إمكانات عظيمة في التأثير والتوجيه؛ مما يحفز على تأليقها وتجليتها؛ لإدراك سعة عوالمه وشمول نظرته وتسخيره الكلمة لخدمة قضايا الإسلام.

كما أن هذا البحث يتغيّا إنصاف الشعراء الإسلاميين المعاصرين الذين لم ينالوا حقهم من اهتمام الدراسات النقدية، مع ارتفاع مستوى إنتاجهم الفني، فيرمي هذا البحث إلى دراسة هؤلاء الشعراء ومدى ما في شعرهم من تصوير للواقع وتوجيه للأحداث من خلال المنهج التحليلي الذي يُعد محور الدراسات النقدية والأدبية.

وتقع هذه الدراسة في خمسة فصول:

الفصل الأول: لمحة تاريخية، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي:

أ- موقف الرسول ﷺ من اليهود: وتحدثت فيه عن عداء اليهود للإسلام منذ فجر الدعوة، وعن غدرهم ونقضهم لعهودهم مع المسلمين غير مرة.

ب- الإسلام والأرض المباركة: وفيه تحدثت عن مكانة فلسطين في الأديان السماوية، ومترلتها المتميزة في عقيدة المسلم وتاريخ الإسلام.

جـ- فتح فلسطين والمعارك الإسلامية: وتتبعت فيه -بتركيز وإيجاز- معارك المسلمين في بلاد الشام -ومن ضمنها فلسطين- من لدن عهد الرسول الكريم وحتى عهد الدولة الأيوبية، حيث تم الفتح العظيم على يد صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين المجيدة.

د- فلسطين في العهد المملوكي والعثماني: وفيه بينت كيف حافظ المماليك على فلسطين وردوا عنها هجمات الفرنج والتتار، وكانت معركة عين جالوت الحاسمة التي انتصر فيها المماليك على التتار. وثنيت بالحديث عن فلسطين في العهد العثماني، والمؤامرات الصهيونية التي انتهت بتقسيم البلاد العربية -ومن ضمنها فلسطين- بين روسيا وفرنسا وإنجلترا، وكانت فلسطين من نصيب الأخيرة.

المبحث الثاني: الأرض المباركة في التاريخ الحديث:

أ- أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م)، (نكبة عام ١٩٤٨ وجذورها التاريخية): وتناولت فيه تحقيق الصهيونية هدفها الأول في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين؛ بعد تجزؤ وحدة الدولة العثمانية، واشتعال الثورات في أنحاء فلسطين

كلها، وأهمها: ثورة الشيخ عز الدين القسام، وثورة الشيخ عبد القادر الحسيني: ثم دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، وكانت النكبة والهزيمة عام (١٩٤٨م): ومن نتائجها: إعلان قيام الدولة الباغية، ثم تناولت حرب عام (١٩٥٦م): ونتائجها، ثم النكبة الكبرى في هزيمة (١٩٦٧م) التي كانت من نتائجها: احتلال إسرائيل جملة أراضي فلسطينية، وأجزاء أخرى من الأراضي العربية.

ب- أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة: وتناولت فيه كارثة حريق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وتوسيع عملية الاستيطان اليهودي، وحرب عام (١٩٧٣م)، وتصاعد الأعمال الفدائية في فلسطين المحتلة، ثم تحدثت عن اجتياح لبنان عام (١٩٨٢م) وما أسفر عنه من نتائج، وأخيراً تناولت انتفاضة عام (١٩٨٧م) دوافعها ونتائجها، ودور حركة المقاومة الإسلامية في قيادتها.

الفصل الثاني: تفاعل الشعر الإسلامي مع الواقع الحي للمأساة: ويضم خمسة مباحث:

المبحث الأول: نكبة عام (١٩٦٧م) أسبابها وآثارها: وتناولت في هذا المبحث وصف الشعراء لمآسي الهزيمة الكبرى وتسجيلهم لمظاهرها وأسبابها ومقدماتها ونتائجها، وتأكيدهم على ضرورة الوحدة الشاملة والاستعداد لاسترداد الوطن المغتصب.

المبحث الثاني: من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب الصهيوني: وتناولت فيه النصوص الشعرية التي عبرت عن الآلام التي كابدها شعب فلسطين ومظاهر المعاناة التي يعيشونها تحت نير الاحتلال الغاشم.

المبحث الثالث: مأساة التروح ومشاعر الحنين والغربة: وبينت فيها معاناة النازحين وتعبير الشعراء عن الاغتراب والحنين إلى الوطن.

المبحث الرابع: إحراق اليهود المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وردود الفعل العربية: وتحدثت فيه عن تصوير الشعراء لهذه الكارثة الجسيمة ومناشدتهم الدول العربية التحرك لإنقاذ المقدسات من رجس اليهود.

المبحث الخامس: اجتياح اليهود لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا: وفيه تناولت دوافع هذا الاجتياح، وتعبير الشعراء عن المذابح الدامية التي حدثت للفلسطينيين في المخيمات في لبنان.

الفصل الثالث: الشعر الإسلامي ومحاور الإبداع الشعري: ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى: وألمحت فيه بكيفية تناول الشعراء لمنزلة الأرض المقدسة مبرزين هذه المكانة الجليلة، والدعوة إلى ضرورة استرجاعها.

المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام: وتحدثت فيه عن إبراز الشعراء لصفات اليهود وعدائهم السافر للمسلمين منذ فجر الدعوة.

المبحث الثالث: استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة: وقد وقفت فيه على الشعر المحرض على الصمود والثورة ضد العدو الغاشم والتحرر من قيد اليأس وخيبة الأمل الذي صنعته الهزيمة.

الفصل الرابع: الشعر الإسلامي واستلهام قيم الانتفاضة، ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة: وفيه عبر الشعراء عن فرحهم وابتهاجهم بثورة أبطال الحجارة متفائلين بهذه البارقة من الأمل.

المبحث الثاني: رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة: وتحدثت فيه عن تأدية الشعراء واجبهم في الدعوة إلى الجهاد وتخليد مواقف البطولة والفداء والاستشهاد.

المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين: وفيه أشرت إلى الطرح القوي للحل الجهادي في هذه الفترة بعدما استجد من أحداث واكبت الانتفاضة.

الفصل الخامس: التجربة الإبداعية في ميزان النقد الفني: ويضم أربعة مباحث:

المبحث الأول: التجربة الوجدانية والتعبير عنها: وفيها أشرت إلى مدى صدق الشعراء في التزامهم بالإسلام ديناً ومنهاجاً وشريعة وجهاداً، وكيف نفذت هذه المعاني إلى عواطفهم فأذكت فيها روح الصدق والحرارة الدافقة، كما نفذت إلى الأسلوب فجاء -معظمه- مطبوعاً واضحاً لا تكلف فيه ولا غموض.

المبحث الثاني: الوحدة العضوية: وفيه بينت أن الشعراء قد فطنوا إلى الوحدة العضوية والنفسية وطبقوها في أشعارهم إلى حد كبير؛ مما يدل على الطاقة التعبيرية الكبيرة لدى الشاعر وتمكنه من السيطرة وتوجيه مجريات النص الشعري.

المبحث الثالث: الخيال الإبداعي: وقد قسمته إلى صور جزئية: من تشبيه واستعارة وكناية، وصور كلية مركبة: تعددت فيها الصور، واجتمعت في أكثر من بيت، وبينت ما كان للشعراء من خيال لا يخلو من الروعة الشعرية، وجاء طبعياً لا تكلف فيه ولا تصنع. فجاءت هذه الصور في مواضعها وأدت الغرض منها في تكثيف المعاني واستيعابها.

المبحث الرابع: الموسيقا الشعرية: وفيه وضحت معالم الصورة الموسيقية لدى الشعراء الإسلاميين، حيث جاءت موسيقاهم ملائمة للموضوعات التي طرقوها.

وختمت الدراسة بخاتمة احتوت على ما أسفر عنه البحث من نتائج.

وقد اعترضت مسيرة هذا البحث صعوبات عدة، منها: تعذر الحصول على بعض نتاج الشعراء في القضية الفلسطينية نظراً لقلة نشر بعض الشعراء الإسلاميين لشعرهم أو قلة توزيعه عند نشره، وتفرق معظم إنتاجهم في الصحف والمجلات الإسلامية، كما تعذر علي الحصول على إنتاج الشعراء في بعض الدول العربية مثل لبنان والسودان واليمن والجزائر مع المحاولات العديدة التي قمت بها للحصول عليه؛ بمراسلة الجامعات ودور النشر في هذه البلاد والمهتمين بدراسة الأدب الإسلامي من الأدباء والنقاد.

وقد اعتمدت في دراستي على كثير من الكتب التاريخية التي أرّخت للقضية وذلك لتهيئة أرضية البحث، وللتمهيد لعرض النصوص، وفهمها فهماً صحيحاً،

كما رجعت إلى بعض الصحف والمجلات التي حوت بعض النصوص، إضافة إلى بعض المخطوطات من الشعراء أنفسهم. هذا فضلاً عن الكتب الأدبية والنقدية التي رجعت لها في الدراسة الموضوعية والفنية.

وبعد، فإن أصبت فهذا من توفيق الله جل وعلا، ولا أزعم في دراستي هذه أنني قد بلغت الشمول والتكامل غير أنني بذلت جهدي لبلوغ هذه الغاية. وأسأل الله تعالى أن يلهمني الإخلاص في القول والعمل، وييسر لي المساهمة في خدمة قضايا الأمة وهو نعم المولى ونعم النصير.

حليمة بنت سويد الحمد

obeikandl.com